Cahiers de Traduction

Volume 30 Issue 01/ June 2024 pp **291-302**

ISSN 1111- 4606 **EISSN** 2602-6023

ترجمة الشعر بين مطرقة الأمانة وسندان الإبداع

دراسة لنماذج من ترجمة المميز للمعلقات

Translating Poetry between Faithfulness and Creativity
Examples of Mumayiz's Translation of The Seven Odes

عبد الحميد نوراني[1]، علجة مجاجي[2]

[1] جامعة زيان عاشور، الجلفة (الجزائر)، a.nourani@univ-djelfa.dz

[2] معهد الترجمة، جامعة الجزائر 2 (الجزائر)، medjadji.maru@gmail.com

تاريخ الاستلام: 2024/01/22.. تاريخ القبول: 2024/05/30 تاريخ النشر 2024/06/02

ملخص:

تهدف هذه الورقة إلى معالجة قضية ترجمة الشعر إلى الإنجليزية مع ما يعرف عليه من خصوصية أسالت حبر كثير من الباحثين حول إمكانية ترجمته من عدمها، بسبب مسألة الأمانة المرتبطة بالمعنى وما يقابلها من إبداع يخص المعنى والمبنى معا للنص الشعري. وقد درجت هذه الدراسة إلى التطرق في الجانب النظري إلى تحديد هذه المفاهيم وارتباطها بعضها ببعض، مع ما يتوجب على المترجم الأدبي الذي يخوض غمار ترجمة الشعر فعله حتى يجمع بين الأمانة للمعنى في النص الأصل والإبداع للنص الهدف دون التضحية بأحدهما ودون الوقوع في فخ الخيانة. وبالاعتماد على المنهج الوصفي التحليلي، حاولنا دراسة ثلاثة أمثلة لترجمة إبراهيم المميز للمعلقات إلى الإنجليزية، لنخلص إلى أن المترجم الفذ الملم بقواعد اللغتين وثقافتيهما معا يمكن أن يجمع بين الأمانة والإبداع في ترجمته للقصيدة، رغم حتمية الوقوع في فخ تشويه المعنى في بعض الأحيان، وهو ما تبيناه في نتائج الدراسة.

كلمات مفتاحية: ترجمة الشعر، الأمانة، الإبداع

Abstract:

This paper aims to unravel the subject of translating poetry into English, a subject about which studies keep searching over the duality composed of whether or not is it possible to render poems from one language into another, added to the other duality that encompasses faithfulness and creativity. The research delved into defining the aforementioned concepts and the interconnection between them, and went through a practical part in which three examples excerpted from Ibrahim Mumayiz's translation of the Seven Odes renowned for Mu'allaqat have been delt with using the descriptive analytical method. The results showed that combining faithfulness and creativity in translating poetry entails the mastery of the two languages,

[1] **المؤلف المرسل:** عبد الحميد نوراني

their grammar, their syntax and even their cultures, which what has Mumayiz showed, except for some unintended issues linked to tiny changes to the sense in favour of the structure.

Keywords: translation of poetry, faithfulness, creativity

1. مقدمة:

تعنى الترجمة الأدبية بالنصوص التي تتصف بسمة الأدبية على شاكلة النص الروائي والمسرحي والنص الشعري. وهي عملية ليست اعتباطية من حيث أنها تختص بمواد تستحق عناء نقلها إلى لغات أخرى، فتوكل ترجمتها إلى من يقدمها في شكل بياني وجمالي، مع مراعاة عدم تشويه المعنى الذي إن حصل فلعدة أسباب أهمها قصور المترجم في تبليغ المراد من الترجمة. وقد نال الأدب العربي نصيبا لا بأس به في الترجمة من قبل العديد من الباحثين في العالم ممن صبوا اهتماما كبيرا بدراسة أدب العرب وحضارتهم على غرار أعمال فيتزجرالد ونولدكه والكابتن جونسون وآربيري وغيرهم ممن دأبوا على انتقاء الممتاز والنادر من أمهات الأدب شعرا ونثرا وترجموه إلى باقي لغات العالم الغربي. وترجمة الشعر من العقبات الكؤود التي تواجه المترجم الأدبي، نظرا لخصوصية هذا الضرب من النصوص الأدبية، ولا يتاح لأي مترجم أدبي الخوض فيه مخافة عدم إيفائه حقه من العناية بنقله على الوجه الأبلغ والأكمل. وعند الحديث عن الشعر في الترجمة تتراءى لنا ثنائية شهيرة لا مندوحة من إيلائها قدرها من الأهمية، وهي الثنائية المتمثلة في مصطلح الأمانة ونظيره الإبداع، وهما مصطلحان مرتبطان كثيرا بالترجمة على العموم ولاسيما ترجمة النصوص الشعرية. فكثر الجدل حول إذا ما كان على الترجمة الشعرية أن تكون أمينة، ولنضرب بالجمالية عرض الحائط، أم أنها، لكي تكون جميلة، ينبغي عدم المغامرة في تشويهها بالسقوط في براثن الخيانة.

تهدف هذه الدراسة إلى تسليط الضوء على ثنائية الأمانة والإبداع في ترجمة النص الشعري، كعنصريين أساسيين من عناصر الترجمة الأدبية والتي تسعى جهود المترجمين إلى عدم إغفال أحدها، مما جعلنا ننطلق في دراستنا هذه من الجمع بينهما في صياغة إشكاليتنا الرئيسة للدراسة والمتمثلة في التساؤل التالي: **ما مدى التزام مترجم النص الشعري بالأمانة في نقل المضامين المعنوية والفنية لمكونات النص الشعري دون إهمال عنصر الإبداع؟**

وسنحاول الإجابة عن هذا التساؤل من خلال تحديد المفاهيم الأساسية للدراسة وعلى رأسها ثنائية الأمانة والإبداع وأهمية وجودهما والحرص على الجمع بينهما رغم الجدلية القائمة بينهما في ترجمة الشعر، ثم النظر في مدى تحقيق هذين العنصرين في الجانب التطبيقي من خلال دراسة بضع نماذج من الشعر الجاهلي المتمثل في معلقة طرفة بن العبد مترجمة إلى الإنجليزية من قبل إبراهيم المميز، ومدى التزام المترجم بهذه الثنائية في نماذج الدراسة، بالإضافة إلى تحديد الأساليب الترجمية المنتهجة في ترجمتها. وانطلاقا من الإشكالية الآنفة الذكر، قمنا بصياغة فرضية أساسية للبحث على النحو التالي:

- قد لا يتمكن المترجم مهما بلغ من البراعة من الالتزام بأحد العنصرين، فإن ركز على عامل الأمانة للنص الأصل –على أهميته–فقد لا يستطيع الإتيان بمقابل فني في النص الهدف، وإن هو حرص على الجمالية الشكلية والرمزية للنص الهدف، فقد لا يوفق في نقل الرسالة دون نقصان.

وسبب اختيارنا لهذا الموضوع للدراسة هو مكانة الشعر في النصوص الأدبية لاسيما أن النماذج المدروسة هي من القصائد السبع الطوال، وما تمثله من تراث أدبي وثقافي له بهرجه ووزنه ورمزيته كسابق وليس بلاحق. كما يجب التنويه إلى أن السبب الآخر لاختيارنا هذا الموضوع هو ولعنا

-كما الكثير- من المترجمين بدراسة الشعر وتذوقه، ومحاولة ترجمته إلى مختلف اللغات مع ضرورة احترام خصوصيته البنوية والجمالية، وهو حاجز يقف أمام المترجم الأدبي فيجد نفسه محتارا بين الالتزام بالنص الأصل ومعانيه غير آبه بشكله، إذ الأهم بالنسبة له هو المعنى وعدم تشويهه، وبين إطلاق العنان لإبداعه ومحاولة إلباس النص الهدف الجمالية التي تليق به والتي على أساسها يسهل على المتلقي معرفته كنص شعري مترجم.

2. جدلية الاستحالة والإمكان في ترجمة الشعر:

عادة ما نصطدم عند الخوض في موضوع ترجمة الشعر بمسألة الاستحالة والإمكانية، وهي قضية جدلية لا تخلو الأبحاث المتعلقة بترجمة الشعر منها. فقد انقسم الباحثون في مجال الترجمة إلى تيارين اثنين، يرى أحدهما استحالة ترجمة الشعر نظرا أولا لقداسته مشبهين إياه بالكتب المقدسة، وهو ما نحاه الجاحظ ومدرسته، وثانيا بالنظر لخصوصيته الفنية الشكلية وهو ما يراه جاكوبسون وغيره. أما الاتجاه الثاني، فهو الذي يعتبر النص الشعري نوع من أنواع النصوص الأدبية ولا يرى حرجا في ترجمته. ورغم أن ترجمة الشعر قوبلت بالكثير من النقاش والجدل حول مدى إمكانية حدوثها من عدمها، وحول الطريقة الأنسب فيها، إلا أنها واقع نشهده من خلال الأعمال الموجودة من قبل العديد من المترجمين على اختلاف لغاتهم.

يعتبر الجاحظ أن ترجمة الشعر غير ممكنة لإيمانه بأنه فضيلة مقصورة على العرب وعلى كل من تكلم بلسان العرب، وترجمته ستؤدي بإخلال توازن اللغة إلى لغة أخرى تختلف عن العربية من جميع الجوانب. فيقول في هذا الصدد: " وفضيلة الشعر مقصورة على العرب، وعلى من تكلم بلسان العرب، والشعر لا يستطاع أن يترجم، ولا يجوز عليه النقل، ومتى حوّل تقطّع نظمه وبطل وزنه وذهب حسنه وسقط موضع التعجب لا كالكلام المنثور".(الجاحظ، الحيوان، 38/1).

وإلى جانب رأي الجاحظ، نجد من الغربيين رومان جاكوبسون ودانتي وغيرهما ممن يرون باستحالة ترجمة الشعر. فجاكوبسون Jakobson يعتقد باستحالة ترجمة النص الشعري إلا إذا لجأ المترجم إلى النقل الإبداعي. يرى جاكوبسون أن المعادلات الكلامية في الشعر تحتل موقع الصدارة في الترتيب البنائي للنص، يهيمن الجناس على الفن الشعري: وأن تكون هذه الهيمنة مطلقة أو محدودة، فإن الشعر مبدئيا غير قابل للترجمة، وكل ما يمكن القيام به هو النقل الخلاق. (Jakobson, R, 1959, 46)

أما دانتي Dante فيرى أن لا مكان لترجمة الشعر قائلا: " الكل يعلم بأنه لا يمكن نقل ما ألفت بينه عرائس الفن من لغته الأصلية إلى لغة أخرى دون تحطيم اتساقه وعذوبته. وهذا هو السبب الذي حال دون ترجمة شعر هوميروس من اليونانية إلى اللاتينية كما ترجمت كتاباتهم الأخرى التي بين أيدينا. وهذا هو السبب أيضا لخلو مزامير داود من عذوبة الموسيقى والاتساق لأنها ترجمت من العبرية إلى اليونانية ومن اليونانية إلى اللاتينية. وفي أول ترجمة تلاشت تلك العذوبة. (خلوصي،1982، 27)

وفي المقابل، لا يمكن إطلاق نظرية الاستحالة على مصراعيها. فرغم صعوبة الشعر وخصوصيته ومطباته، إلا أنها لم تثن العديد من المترجمين على ترجمته، مما جعل إمكانية ترجمة الشعر أمرا واقعا، حيث شهدنا العديد من الأعمال الترجمية التي استعرضت ترجمة قصائد شعرية من اللغة العربية إلى لغات أخرى، والعكس، بالإضافة إلى نقل معاني القرآن الكريم إلى لغات متعددة. ولم يقتصر الأمر على ذلك فحسب، بل شمل أيضا ترجمة رباعيات الخيام والمعلقات وقصائد أخرى من الشعر الجاهلي وغيره، بالإضافة إلى ترجمة أعمال شكسبير وقصائده إلى اللغة العربية وغيرها من اللغات. وقد أسهم هذا الاتجاه في فتح تلك الثقافات ببعضها، مما أتاح الفرصة للتعرف والتعلم، إذ يلخص الشعر الجانب الجمالي والوجداني في قالب لغوي بديع يشجع الآخرين على التمتع به.

ويلخص جون إيف ماسون J.Y. Masson مجمل القولين بأن ترجمة الشعر كما هو جلي مستحيلة، وكل الناس تقر بذلك منذ القديم. ولكنها في نفس الوقت ممكنة لأنها موجودة. فلا يمكن إذن للشعر أن يترجم الشعر ولكنه في الواقع يترجم.(J.Y. Masson, 2007,27)

ولعل أهم الدوافع التي تبرز عند القول برفض ترجمة الشعر إنما ترتبط بالأساس بتفادي خيانة المعنى والتركيز على الحفاظ عليه إلى جانب الأمانة في إلباس النص المترجم تلك الجمالية التي نجدها في النص الشعري. فالسعي لتحري الأمانة في ترجمة الشعر معجميا وتركيبيا، والحرص على تبليغ المعنى المراد فيه.

3. الأمانة في الترجمة الشعرية:

والأمانة ضد الخيانة، وهي تقع على الطاعة والعبادة والوديعة والثِّقةِ والأَمان (ابن منظور،21/13)، كما يرتبط مفهوم الأمانة في الترجمة الأدبية بالنص الأصل، إذ تعني عدم التصرف في المعنى والإلمام بجميع مكونات النص المعنوية والبنيوية، وضرورة فهم الأفكار الواردة في النص الأصلي ونقلها بلغة واضحة وسلسة ومفهومة إلى اللغة المترجم إليها بدون اختصار أو حذف.

وانطلاقا من هذا التعريف، فإن الأمانة ترتبط بالحرفية والوفاء للنص الأصل، في حين نجد أن مقابلها هو التحرر في الترجمة أو التصرف للوصول إلى النص الهدف. (E. Cary,1986,37) . يمثل هذا التقابل إشكالية لا يستهان بها في ترجمة الشعر لأن الحرفية لا تتلاءم مع جمالية الشعر، كما لا قد لا يناسب التحرر ترجمة مضامينه المعنوية، ولذلك يجب أن تحمل الترجمة مواصفات الشعرية، دون المساس بالمعاني الواردة في النص أصل، وقد تطرق جورج مونان G. Mounin إلى هذا الإشكال في كتابه: Les Belles Infidèles . (G. Mounin, 1994, 6).

يستلزم توخي الأمانة في عملية الترجمة نقل النص المترجم روحا ومعنى وتعبيرا مع مراعاة المعنى الذي يقصده الكاتب والذي يكمن وراء كل كلمة أو عبارة فيترجمها بمعناها حتى لو اضطر لتحويل اسم إلى جملة أو صفة إلى حال، إلخ.. مع حرية التأخير أو التقديم بما يخدم المعنى باستخدام لغة سليمة تخلو من أشكال الركاكة. أما الترجمة الحرفية فجل مهمتها هي نقل النص كلمة بكلمة أي التمسك بالنص المنقول منه من ناحية معاني المفردات والتراكيب اللغوية مع إهمال الاختلاف في الأساليب اللغوية بين اللغة الأصل واللغة الهدف، مما قد يتسبب في تشويه أسلوب الكاتب وأفكاره. (فيليب صائغ ،1993، 7)

وفي باب الأمانة للأصل، نجد قولا مأثورا للرومان وهو: "الترجمة خيانة" (عز الدين ،2005، 9)، أي مهما بلغ المترجم من الوفاء للنص ومعانيه وبنيته فلن يعدو غير أن يكون خائنا طالما أنه ليس صاحب النص الأصلي وإنما هو ناقل لكلام غيره ومضامينه، غير أن الحقيقة أن الترجمة أعسر من التأليف إذ تتطلب الدقة والأمانة، والأصل فيها توخي الأمانة في نقل الأثر الفكري بقدر المستطاع. ويعزز هذا الطرح رأي إيزرا باوند Ezra Pound الذي يرى بأنه يتوجب على المترجم أن يترجم وكأنه الكاتب في اللغة الهدف. (Oseki-Dépré, 1999, 117).

ورغم أن الأمانة في الترجمة من الأساسيات التي ينبغي التركيز عليها والالتزام بها، غير أن الغلو فيها في ترجمة الشعر غير محمود كثيرا، إذ يعتقد البعض أن المغالاة في الأمانة عند ترجمة الشعر رغم أهميتها من الأخطاء الواجب تفاديها، فنجد مثلا جون دينهام John Dinham الذي يقول في مقدمته للكتاب الثاني من إنياذة Aeneis فرجيل : "من الخطأ الفاضح في ترجمة الشعر المغالاة في الأمانة – الأمانة التي إن صحت في الحقائق العلمية والمسائل الدينية فلا تصح في الشعر، فمن أرادها فيه أراد شيئا غير مستلزم وأدى ذلك إلى إخفاقه في تحقيق غرضه، إذ ليست مهمته مقتصرة على ترجمة لغة إلى أخرى بل شعر إلى شعر، وإن روح الشعر شفافة رقيقة بحيث أنك إذا ما صببته من قالب لغة إلى أخرى تبخر وضاع،

فإذا لم تضف إليه روحا جديدة أثناء النقل لم يبق لديك سوى الوعاء". ويلاحظ أن المترجمين الإنجليز في القرن السادس عشر ومعظم السابع عشر كانوا يأخذون جانب الحرفية في نقل الأشعار الأجنبية فكانوا كما يصفها دينهام: "يحتفظون بالرماد ويفوتهم اللهب"، ثم جاء درايدن Dryden فحرر الترجمة الشعرية من قيودها وكان الابتهاج بالحرية الجديدة ينذر بخطر الإغراق في التصرف إلى حد غير مستساغ بحيث أصبحت فيما بعد كلمة " الترجمة" مرادفة لكلمة "التصرف" إلى أن جاء دور وضعت فيه الحدود التي يستطيع ضمنها المترجم أن يتخذ صفة الكاتب الأصلي. (فيليب صائغ ،1993، 7)

يعتقد ابعض الباحثين أن تجاوز جدلية استحالة بلوغ الترجمة "الأمينة" للنص الشعري وحتمية اقتراف "الخيانة" في حق الإبداع الأصلي، حتمية لا مفر منها بغية تقصي المسالك العملية التي تؤطر نجاح الترجمة، حيث أضحى من الواجب على مترجم الشعر أن يعطي الاعتبار لتلك الدينامية الداخلية التي تنتظم القصيدة، ويستحضر العناصر الصوتية والإيقاعية التي تشكل خصوصية كل شعر. (نزار الفراوي، ترجمة الشعر، الممكن والمستحيل).

وقصد التوضيح ارتأينا أن نورد مثالا عن الترجمة الشعرية الأمينة، والمتمثل فيما قام به جون أربري في ترجمة المعلقات السبع إلى الإنجليزية، حيث انصب جل تركيزه على المعنى الوارد في القصائد، وقليلا ما نجده يتبنى نمطا فنيا نظميا يضاهي نص المعلقات، حتى أنك تجده يتبع شروح القصائد الثابتة في كتب التفسير كلمة بكلمة وهو الأمر الذي أجبره على اعتماد الحرفية في العديد من الترجمات، وهو ما نستشفه في المثال التالي من قصيدة طرفة بن العبد:

وفي الحي أحوى ينفض المرد شادن	مظاهر سمطي لؤلؤ وزبرجـــد
خـذول تراعي ربربا بخميـــــــلة	تناول أطراف البريــر وترتدي
وتبسم عن ألمى كأن منـــــــورا	تخلل حر الرمل دعص له ند

A young gazelle is in the tribe, dark-lipped, fruit-shaking, flaunting a double necklace of pearls and topazes,
Holding aloof, with the herd grazing in the lush thicket, nibbling the tips of the arak-fruit, wrapped in her cloack.
Her dark lips part in a smile, teeth like a chamomile on a moist hillock shining amid the virgin sands. (Arberry, 83)

فالملاحظ لهذه الترجمة يشعر أنه بصدد قراءة نص نثري، يعطي مقابلات فردية لكل وحدة معجمية فيه، وبالعودة إلى شرح الزوزني لهذه الأبيات، فسنكتشف أن أربري لم يتكلف في جمالية الترجمة بالقدر الذي اهتم كثيرا بالمعنى والوفاء له، وقد يفسر ذلك بالقداسة التي يوليها أربري للمعلقات كموروث له مكانته في الأدب العربي، يكفيه شرف ترجمته كلغوي مستشرق من المعاصرين.

4. الإبداع الترجمي:

الإبداع لغة من الفعل بَدَعَ وأبدع بدأ وأنشأ، وتعني إيجاد الشيء من عدم، وأما اصطلاحا فالإبداع حسب الموسوعة البريطانية بأنه القدرة على إيجاد حلول لمشكلة أو أداة جديدة أو أسلوب جديد. (موسوعة بريتانيكا، creativity).

والإبداع الترجمي هو البراعة والموهبة التي يمتلكها المترجم في الكتابة، تسهل عليه استلهام الأفكار وصياغتها، وتحرير النص المترجم الذي يود توصيله للمتلقي، باعتبار الترجمة قبل أن تكون وسيلة تواصلية وكيان علمي لساني تطبيقي هي فن يؤدي بالمترجم إلى إطلاق العنان ولو قليلا لبراعته من أجل الخروج عن المألوف ونقل النص المترجم بنوع من الجمالية التي تكسبه تذوقا وشاعرية لدى المتلقي الذي قد لا يشعر بأن النص المترجم غير أصلي من فرط الإبداع والجمالية التي تعتريه والتي يكون يعود الفضل فيها إلى المترجم أساسا. إن لبعض المترجمين من القدرة ما لو تعرضوا لنقل رائعة أدبية إلى لغتهم لأضفوا عليها من عندهم ما يجعلها أروع من الأصل، بيد أن هذا ليس شرطا ضروريا. (فيليب صائغ ،1993، 9).

وتعتمد الترجمة الأدبية على الروح الإبداعية بالنظر للتذوق الجمالي والخيال الفني الذي يعتري الكاتب قاصا كان أو شاعرا أو روائيا، مما يحتم على المترجم لهذا النوع من النصوص أن يتجنب النقل الحرفي للمفردات وأن يساوي بين الشكل والمضمون من خلال التحرر من قيود النص الأصل بانتقاء الأنسب من الألفاظ والإيحاءات قدر المستطاع، والغاية هي ترك الأثر البديع نفسه في النص الأصل في نصه الجديد، وبهذا فالإبداع يتجلى بشكل أكبر في ترجمة الشعر، حيث يتبنى المترجم دور الكاتب الأصلي في اللغة الهدف عبر إبداء مميزات النص الشعري كالوزن والقافية والصورة وغيرها، وهو ما يراه باوند. (Oseki-Dépré, 1999, 117)

1.4. تجليات الإبداع الترجمي في النصوص الشعرية:

تحتاج ترجمة الشعر إلى موهبة خاصة، إذ ينبغي على مترجم الشعر أن يشعر المتلقي بالطابع الشعري في الترجمة، وذلك حتى يستطيع هذا المتلقي الذي هو في الغالب لا يحسن اللغة الأصل، معرفة أنه أمام قصيدة مترجمة، ولذلك نجد العديد من المترجمين يحاولون الإتيان بترجمة شعرية تبدو فيها خصائص الشعر كالوزن والقافية والسجع والصورة، مع انتقاء الأنسب من الألفاظ والإيحاءات قدر المستطاع، والغاية هي ترك الأثر البديع. وفي بعض الحالات، تكون الترجمة أجمل من النص الأصلي، كما يتجلى في ترجمة شارل لايال للمعلقات، وترجمة جون أربيري للشعر المعاصر.(خلوصي، 27).

وفي هذا الصدد، نورد عددا من الأمثلة الترجمية لأبيات شعرية حاول المترجم فيها مشابهة النص الأصل والإبداع فيه، وهي كثيرة لا يمكن حصرها في ورقة بحثية، فنكتفي على سبيل المثال بترجمة رينولد نيكلسن لأبيات من قصيدة جميل بن معمر:

ألا ليت ريعان الشبابي يعود ودهرا تولى يا بثين يعود
فنبقى كما كنا وأنتـــــــم قريب وإذ ما تبذلين زهيد

Oh might it flower anew that youthful prime
And restore to us, Buthayna, The bygone time
And might we again be blest as we wont to be
When the folk were nigh and grudged what thou gavest me

(Nicholson,238)

فالمتأمل لهذه الترجمة يجد أنها موزونة مقفاة، وحتى أن مستوى اللغة ذاته كلاسيكي، يضاهي لغة جميل بن معمر، اجتهد المترجم فيها على الابتعاد عن الحرفية، متحررا من قيودها، حريصا على اعتماد الوزن، مع جلاء القافية في آخر كل شطر.

وكذلك ترجمة جون آربري لأبيات لابن زيدون:

يا ظبية لطفت مني منازلها فالقلب منهن والأحداق والكبد
حبى لك الناس طرّا يشهدون به وأنت شاهدة ان يثنهم حسد
لم يعزب الوصل فيما بيننا أبدا لو كنت واحدة مثل الذي أجد

O' fair gazelle whose charms do dwell
Within mine eyes, my heart, my soul,
My love for thee as all may see
Is single, ent re and whole
So all declare who witness bear,
And though thyself a witness art. (خلوصي، 32، 33)

اعتبر خلوصي هذين النموذجين من الترجمات التي يكون فيها الناتج أفضل من الأصل، مع إمكانية حدوث العكس، أي من اللغة الإنجليزية إلى العربية، وهو ما نجده في المثال التالي لترجمة أبيات لسوينبرن:

From all love of living
From hope and fear set free
We thank with brief thanksgiving
Whatever gods may be
That not life lives for ever,
That deal men rise up never,
That even the weariest river,
Winds somewhere safe to sea.

إني استرحت من الحياة وحبها وخلوت من هم ومن آمال
فالحمد للأرباب حيث وجدتهم جهد المقل ولا أطيل مقالي
إني لأحمـــدهم على أن قدروا أن الحياة رهيـــــنة بزوال
وبأن أصحاب القبور على المدى لا يبعثون إلى الحيـــاة بحال
مهما استطال فكل نهر متعب يوما له في البحر خير مآل (خلوصي، 32)

فهذه الترجمة لصفاء خلوصي تتجاوز حدود الخيال في الإبداع، ولاسيما في شكلها العربي، وتثبت بما لا يدع مجالا للريبة أن المترجم للنص الشعري يجب أن يكون له نصيب هو كذلك في نظم الشعر وحبكه، وإلا فلن يكون قادرا على نسج هذه التراكيب البديعة التي تجمع بين الحفاظ على المعنى والمبنى معا.

5. أهمية تحقيق توازن بين الأمانة والإبداع في عملية الترجمة.

دأب بعض الباحثين في الترجمة على تصنيف الترجمة الأدبية للنصوص بين الأمانة والإبداع إلى الاصطلاح على تسمية الأولى بالترجمة الاعتيادية وربط الإبداع بالإلهام مطلقا عليها اسم الترجمة الملهمة بالنسبة للثانية، كما سماها صفاء خلوصي. فهو يرى أن الترجمة الأمينة يحرص فيها المترجم على نهج الأساليب المعتادة من قبيل الحرفية خصوصا بغية تبليغ المعنى كما هو، مستشهدا بترجمات ابن البطريق التي لا تعدو إلا أن تكون سبيلا للتعلم عند مطابقتها مع الأصل. وفي مقابل ذلك، عزز مفهوم الإبداع في الترجمة بعنصر آخر هو الإلهام، معتبرا الترجمة الملهمة تلك التي تفقد بعض ألفاظ الأصل لكنها ترجمة لا يمل منها القارئ بل يتوق إليها بين الفينة والفينة، ضاربا المثل فيها بترجمات حنين بن إسحاق. (خلوصي،20).

فالمتأمل لهذه المقاربة إذا ما أسقطت على ترجمة الشعر يجد أن خلوصي تطرق إلى طرفي الثنائية بين التزام مطلق بالمعنى والوفاء له دون التكلف في رسم نسوج أدبية فنية بخصوص النص، وبين التحرر من قيود المعنى وإطلاق المترجم العنان للإبداع، قصد إمتاع المتلقي بالجمالية التي سيضفيها على النص الهدف، دون اقتراح منطقة وسط تلتقي فيها الأمانة التي هي إلزامية في الترجمة، بعامل الإبداع. والحقيقة، أن مكمن الصعوبة هو اجتماع عنصري الأمانة والإبداع معا في ترجمة النصوص الشعرية، إذ أن احتمال إهمال أحدهما على حساب الآخر كثير الورود، وقد يكون مدعاة لتوقف المترجم عن عملية الترجمة ثم العزوف نهائيا عن الخوض في ترجمة مثل هذه النصوص.

6. الدراسة التطبيقية:

نعتمد في الجانب التطبيقي للبحث على تقصي عاملي الأمانة والإبداع في ترجمة الشعر، من خلال ثلاثة نماذج مختارة من المعلقات، انتقاء اقتضته الضرورة البحثية، حتى نتمكن من إظهار جوانب التوفيق في الالتزام بالأمانة للنص الأصل مع مراعاة الترجمة الإبداعية التي يرومها المترجم في النص الهدف. والمترجم في دراسة الحال هو العراقي إبراهيم المميز أستاذ اللغة والأدب الإنجليزيين بالعديد من الجامعات في العالم ومترجم لعديد الأعمال والدواوين.

تتمثل النماذج المختارة في دراستنا في ثلاثة نماذج تتضمن عددا من الأبيات المترجمة من قصائد المعلقات من قبل المترجم إبراهيم المميز، التي أدرجها في كتابه الموسوم بـ: Society Religion and Poetry in Pre-Islamic Arabia والذي نشرته دار غارانت ببلجيكا سنة 2010. وهو كذلك كتاب واحد يزيد عدد صفحاته عن المائتين وثلاثين صفحة، تطرق حيث نقوم بشرح الأبيات وتحليل ترجمته انطلاقا من ثنائية الأمانة والإبداع ومدى التزامه بهما أو بأحدهما.

النموذج الأول:

أخذنا هذا النموذج من قصيدة امرئ القيس، البيت الأربعين والذي يليه منها:

تضيء الظلام بالعشاء كأنها منـــــــارة ممسى راهب متبتل

إلى مثلها يرنو الحليم صبابة إذا ما اسبكرت بين درع ومجول

(ديوان امرئ القيس، 115)

In darkest nights her face is clear as light
A praying monk’s lit lantern glowing bright
To her, gallants, in love, wisely behaved.

Her clothes are between those of child, and maid

جاء في شرح الزوزني لهذين البيتين أن العشيقة تضيء بنور وجهها ظلام الليل فكأنها مصباح راهب منقطع عن الناس، وخص مصباح الراهب؛ لأنه يوقده ليهتدي به عند الضلال فهو يضيئه أشد الإضاءة.

الاسبكرار: الطول والامتداد. الدرع: هو قميص المرأة، وهو مذكر، ودرع الحديد مؤنثة، والجمع أدرع ودروع. الْمِجْوَل: ثوب تلبسه الجارية الصغيرة.

إلى مثلها ينبغي أن ينظر العاقل كلفًا بها وحنينًا إليها إذا طال قدّها. (الزوزني، 57)

من بين أسباب اختيارنا لهذا النموذج، احتواؤه على صورة بيانية تتمثل في التشبيه البليغ في البيت الأول، فارتأينا أن نكتشف كيف قام المميز بنقل هذه الصورة إلى اللغة الإنجليزية بين حدي الأمانة والإبداع الترجمي.

استعمل المترجم في الشطر الأول من البيت الأول تكافؤا ديناميا، اعتمد فيه على مقابل معنوي متخلصا من قيود الحرفية، مبديا العديد من مظاهر التحرر مثل ذكر كلمة her face التي لا نجدها في النص الأصل، وكذا عبارة clear light مقابل كلمة "تضيء"، وكلمة nights بصيغة الجمع في مقابل كلمة "العشاء" المفردة. وبإعادة ترجمة الشطر الأول نجد: في أحلك الليالي يضيء وجهها مثل الضياء.

وانتهج النهج ذاته في ترجمة الشطر الثاني، حيث أكمل ترجمة الصورة البيانية بترجمة "متبتل" بـ praying، و"منارة" بـ lantern، مضيفا كلمة lit ليعزز معنى التبتل والاعتكاف، وعبارة gowing bright لتقوية معنى الإنارة، وكذا للضرورة النظمية، وكل هذا من مظاهر التحرر والاهتمام بالشعرية مع توظيف إبداع المترجم. وبإعادة ترجمته حرفيا نجد: فانوس راهب متعبد يتوهج ساطعا.

أما في ترجمة البيت الثاني فقد انتهج المترجم التطويع من خلال تقديم gallants, in love والتي تعني المحبين، مع أنها جاءت بصيغة المفرد في النص الأصل، مترجما صفة الحلم بالحال wisely، وكلمة "يرنو" بـ behaved. أما الشطر الثاني فقد تضمن تكافؤا ديناميا من خلال التحرر من البنية في النص الأصل وإخفاء جملة الشرط، موظفا الكلمات: clothes of a child and those of maid في براعة قل نظيرها، حيث مشيرا إلى ما جاء في النص الأصل "درع" و "مجول" ومحافظا على المعنى.

النموذج الثاني:

ومن قصيدة طرفة بن العبد، أخذنا هذا النموذج المتمثل في البيتين الخامس عشر والذي يليه:

تربعت القفين في الشول ترتعي حدائق موليّ الأسرة أغيـــــــد

تريع إلى صوت المهيب وتتقي بذي خصل روعات أكلف ملبد

(ديوان طرفة، 30)

Amongst a herd she grazed away in peace, sans toil
in a rain-bless’d pasture of rich and fertile soil.
Pregnant, she keeps away from her the lusty male
of her condition she warns him by wagging her tail.

جاء هذا البيتان في وصف النوق التي جفت ضروعها وقلت ألبانها فتربعت أي اتخذت من المكان ربعا لها لترتعي من القفين وهما ما علا من الأرض دون الجبل، والمراد هنا هو مكان بعينه يتمز زبخصوبة أرضه. (الشمنتري، 43).

في هذه الترجمة، دأب المميز على تزيين الترجمة بالوزن والقافية، متحررا من قيود الحرفية، والتقديم والتأخير في أماكن المفردات، مستخدما التطويع كأسلوب ترجمي، وهذا ما يبدو في ترجمته لعبارة: ترعت القفين في الشول ترتعي في أمان بلا كلل بين النياق فعبر عنها بـ she grazed away in peace, sans toil. ومبرزا صفة أغيد" أي الماطر للمرعى الذي وصفه بـ:

a rain-bless'd pasture of rich and fertile soil

فالبيت الأول هنا يشمل معظم التفاصيل التركيبية والدلالية في ترجمته باستخدام التطويع وإعادة الصياغة التي تستلزمها الضرورة النظمية.

وفي البيت الثاني، لا نجد إشارة على أن الناقة لاقح أي حبلى، وإنما إيحاء بذلك من خلال اتقائها للفحل الملبد التي ترجمت بـ the lusty male، ونجد المترجم أظهرها علانية عند ابتدائه بكلمة: pregnant

ورغم ذلك، لم يتغير المعنى، وحافظت الترجمة على الوزن مع تغيير في قوافي شطري البيت.

ويعد هذا النموذج، من بين الكثير من النماذج، مثالا على إبداع المميز في ترجمة الصورة البيانية والتي هي الكناية في النص العربي، ناقلا إياها في صورة استعارة metaphore، في تأكيد منه على علو كعبه في الجمع بين الجمالية والتركيبية معا في النص الشعري.

النموذج الثالث:

تمثل هذا النموذج في البيتين الخامس والستين والذي يليه من نفس المعلقة:

أرى الموت يعتام الكرام ويصطفي عقيلة مال الفـاحش المتشدد
أرى العيش كنزا ناقصـا كل ليلة وما تنقص الأيام والدهر ينفد
(ديوان طرفة، 49)

The worthy- to fill an early grave- death will elect
and misers who did too miserly wives select
From life's treasures each night a little takes away.
What days, and Time, takes from, intact will never stay

ذكر الشمنتري في تفسير هذين البيتين، قوله: "يعتام الكرام" أي يختارهم ويخصهم. و"عقيلة" كل شيء: خياره وأنفسه. و"المتشدد" البخيل الممسك. و"الفاحش" السيئ الخلق. وإنما جعل الموت يختار كرام الناس، ويصطفي خيار المال. (ديوان طرفة، 49).

كما يبدو من ترجمة البيت الأول إذا أعدنا صياغتها إلى العربية مجددا، لوجدنا أنها تعني: أن الموت يصطفي مستحقه، وأن البخلاء هم من اختاروا ببأس زوجات لأنفسهم، وهذا مخالف تماما للمعنى المقصود في الأبيات الأصلية، فلا ندري أكانا سهوا من المترجم أم غفلة وخطأ غير مقصود بداعي التركيز على الشكل دون المعنى. أما ترجمته البيت الثاني فقوله:

From life's treasures each night a little takes away.

وإذ نجد في النص الأصلي: أرى العيش كنزا، أي كله كنز، والترجمة : من كنوز العيش، فقد تكون في هذا ركاكة في رأينا لعدم التطابق، إضافة إلى تغييب أهم عنصر وهو الفعل الشخصي "أرى"، مع ترجمة المفرد إلى جمع، وتفسير هذا هو التزام المترجم بالإيقاع. واختار مقابلا لكلمة "النفاد"

بالعبارة التالية: intact will never stay ومعناها صحيح يدل على بقاء الشيء على حاله. وعموما، فهذا النموذج من بين النماذج التي وجدنا في ترجمتها نوعا من الغرابة خاصة في تحوير المعنى بقصد أو بغيره من قبل إبراهيم المميز.

نجد في هذا النموذج أن المترجم لم يلتزم بالمفردات الواردة في النص الأصل وقد يوصف بأنه تحرر مفرط منه أدى إلى خيانة المعنى، وجل تركيزه كان منصبا على الشكل النظمي للبيتين ولو على حساب المعنى، دون أن ننقص من قدره في إعطاء هذه الترجمة القيمة الجمالية التي تستحقها.

تحليل النتائج:

من خلال دراسة النماذج المقترحة لترجمة النص الشعري، وجدنا أن المترجم إبراهيم المميز قد أبدع حقيقة في نقلها إلى اللغة الهدف بشكل نظمي فني، حافظ فيه على مقومات النص الشعري، ملفتا نظر المتلقي وسمعه إلى أن النص المترجم منه هو كذلك شعر ممشوق بشكل جميل. ويمكن تفسير هذا بتحكم الرجل في اللغتين الأصل والهدف وكذا ولعه بالشعر، فلا نستطيع أن نتصور مترجما لا يفقه في الشعر الكثير أن يبادر إلى ترجمته، لأنه سيضحي بأحد العنصرين، إما الأمانة وإما الإبداع. غير أننا اخترنا أحد النماذج التي لم يوفق المميز في ترجمتها، وهو ما نصطلح عليه باللاأمانة حتى لا نقول خيانة، إذ سعيا منه إلى التمسك بالنية الشعرية للنص المترجم، أهمل المعنى. وهذه من الحالات النادرة لترجمته للمعلقات، إذ سيكون من المجحف أن نبخس المترجم قدره وحقه، فليست ترجمة المعلقات بالمهمة اليسيرة، وليست في متناول أي كان من المترجمين.

7. خاتمة:

إن التزام المترجم بالأمانة في ترجمة الشعر أمر لا مفر منه وهو الغالب في نقل النصوص الشعرية، حيث أنها إن غابت فيها لم تقبل الترجمة واعتبرت سرقة وتشويها للمعنى، ناهيك عن أنها في الأصل خيانة ولذلك، فواقع وجود العديد من الأعمال الشعرية مترجمة من العربية وإليها ومقبوليتها كأعمال ترجمية أدبية ينفي عموما مسألة الخيانة. وفي دراستنا لترجمات المميز للمعلقات، وجدنا أنه أبدع أيما إبداع في براعة قل نظيرها تمثلت في إحاطته بالمكونات المعجمية والدلالية والفنية للقصائد المترجمة، وإلباسها ثوب الشعرية في تحد لقدسية الشعر التي تكون مصاحبة للاستحالة في الترجمة. ولقد تعمدنا انتقاء أحد النماذج التي اعتقدنا أنها استثناء في ترجمات المميز من حيث الأمانة للمعنى بغية أن نظهر أنه مهما بلغت براعة المترجم فالشعر صعب المراس فيما يتعلق بالجمع بين الأمانة للمعنى والإبداع في المبنى. وحتى يتمكن المترجم من الجمع بينهما لابد أن تتوفر فيه مجموعة من الصفات التي تساعده في الخوض في ترجمة أي نص شعري، ومن أهم هذه الصفات هو تذوق الشعر، فبدونه لا تأتي الرغبة في ترجمته، إذ أن الاهتمام بالشيء هو جزء من تصوره. كما ينبغي على المترجم إتقان اللغتين الأصل والهدف، إلماما تاما بجميع قواعدهما وتفاصيلهما حتى لا يقع في فخ خيانة المعنى.

8. قائمة المراجع:

المؤلفات:

1- ابن منظور، (1988)، *لسان العرب*، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط1، 170/1
2- الجاحظ، (1988)، *كتاب الحيوان*، 56/1، تحقيق عبد السلام محمد هارون. الجزء الأول. ط2. شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي، مصر.

3- الشمنتري، الأعلم، يوسف بن سليمان بن عيسى، *أشعار الشعراء الستة الجاهليين، اختيارات من الشعر الجاهلي*، ملتز الطبع والنشر، عبد الحميد أحمد حنفي، مصر، ، ج2، ط 3.
4- عناني، محمد (2012)، *الترجمة الأدبية بين النظرية والتطبيق*، الشركة المصرية العالمية للترجمة لونجمان.
5- مونان، جورج (1994)، *المسائل النظرية في الترجمة، دار المنتخب العربي، بيروت.*
6- خلوصي صفاء، (1982)، *فن الترجمة في ضوء الدراسات المقارنة*، دار الرشيد للنشر.
7- صائغ، فيليب جان عقل، (1993)، *أوضح الأساليب في الترجمة والتعريب*، مكتبة لبنان ناشرون.
8- عز الدين محمد نجيب،(2005)، *أسس الترجمة من الإنجليزية إلى العربية والعكس*، مكتبة ابن سينا، ط 5، القاهرة.
9- ديوان طرفة بن العبد (2000)، شرح الأعلم الشمنتري، تحقيق درية الخطيب ولطفي الصقال، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت ، ط2.
10- ديوان امرؤ القيس (2004)، جمع وتحقيق مصطفى عبد الشافي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط5.
11- الزوزني، أبو عبد الله الحسين بن أحمد ، *شرح المعلقات*، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت.

قائمة المراجع الأجنبية:

12- Arthur Arberry, (1956),*The Seven Odes: The First Chapter in Arabic Literature*. London: George Allan & Unwin Ltd.
13- Cary, E. *Comment faut-il traduire?* Presse Université de Lill, 1986.
14- Ibrahim Mumayiz, (2010), *Society, Religion and Poetry in Pre-Islamic Arabia*, Garant, Antwerpen, Belgium.
15- Jakobson, R, (1959), *On Linguistic Aspects of Translation*, Harvard University Press, Cambridge , Massachusetts.
16- Jean-Yves Masson, (2007), *Traduire la poésie, in Actes du séminaire national : Traduire les œuvres littéraires en traduction*. Novembre.
17- - Oseki-Dépré, I, (1999), *Théories et pratiques de la traduction littéraire*, Armand Colin, France.

المقالات:

1. حداد سلمى (2006)، لماذا يعزف المترجمون عن ترجمة الشعر، مجلة جامعة دمشق، العدد 3+4
2. تطور مفهوم الأمانة في نظرية الترجمة، من الاهتمام بالنص المصدر إلى متلقي النص المترجم، مجلة اللغات والترجمة، ع 1 ديسمبر 2020

مواقع الانترنيت:

1. الفراوي نزار، ترجمة الشعر، الممكن والمستحيل، مقال منشور على موقع الجزيرة، بتاريخ 2014/7/12 https://www.aljazeera.net/culture/2014/7/12/
2. معجم المعاني، اطلع عليه بتاريخ 2024/1/17 / https://www.almaany.com/ar/dict/ar-ar
3. موسوعة بريتانيكا، اطلع عليه بتاريخ 2024/1/17 https://www.britannica.com/dictionary/creativity

Cahiers de Traduction
Volume30 Issue 01/June 2024